المركز الوطني لتطوير المناهج
National Center for CurriculumDevelopment

أولا

نصوص الاستماع/ كتاب الطالب/ الصف العاشر/ الفصل الأول

+9626-5376262/5 P.O.BOX:2088Amman11941 www.nccd.gov.jo info@nccd.gov.jo

منتديات صقر الجنوب التعليمية

الوحدة الأولى: حديث كعب بن مالك رضي الله عنه

يروي كعبُ بنُ مالكٍ –رضيَ الله عنه– وكان قدْ تخلَّفَ فيمن تخلَّفَ عن غزوة تبوكَ، فلم ينفِرْ في سبيل الله مع النبيِّ ﷺ ولم يكنْ من أصحاب الأعذار، قال: لمّا بلَغني أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قدْ توجَّهَ عائدًا منْ تَبُوكَ حَضَرَني ندمي وحُزني، وصارَ الكذِبُ يراوِدُني، وأقُولُ: بِمَ أعتذِرُ إليه غدًا حتّى أخْرُجَ مِنْ سَخَطه؟ فعرَفتُ أنّي لن أخرج منه أبدًا بشيءٍ فيه كذِب.

وجاءهُ الْمُخَلَّفُونَ يعْتذِرُون إليْه ويَحلِفُون لَهُ، وكانُوا بِضْعةً وثمانين رَجُلًا، فقَبِلَ منْهُمْ عَلانِيَتَهُمْ وبَايَعَهُمْ واسْتغفَرَ لهُمْ ووَكَلَ سرَائِرَهُمْ إلى الله تعالى، فجئتُ أمْشي حتّى جَلَسْتُ بيْن يَدَيْهِ، فلمَّا سلَّمْتُ تبسَّم تبسُّم الْمُغْضَب ثمّ قال لِي: ما خَلَّفَكَ؟ ألَمْ تكُنْ قدِ اشتريتَ ظهرَك (أي راحلةَ لك تحملُ عليها أثقالك في السّفر)؟ فقلت: يا رَسُول الله، إنّي واللهِ لوْ جلسْتُ عنْد غيْرِكَ منْ أهْلِ الدُّنْيا لرَأيْتُ أني سأخْرُج منْ سخَطه بعُذْرٍ، ولكنّني واللهِ قدْ علمْتُ أنّي إنْ كذبْتُ اليومَ كي أُرضيَكَ عنّي فإنّ الله سيُسخطُك عليّ، وإنْ صدَقتُكَ فغضبتَ منّي فإنّي لأرجو بهذا الصّدقِ عفوَ الله. يا رسول الله، واللهِ ما كانَ لِي مِنْ عُذْرٍ، واللهِ ما كُنْتُ قطُّ أقْوَى ولا أيْسرَ مِنّي حِينَ تخلَّفْتُ عَنك. فقال رسولُ الله ﷺ: أمّا هذا فقدْ صدَقَ، فقُمْ حَتّى يقْضيَ اللهُ فيكَ.

وجاء رجالٌ منْ بَنِي سَلمةَ فقالُوا لِي: أعَجَزْتَ أنْ تعتذِرَ إلى رَسُول الله ﷺ بما اعْتَذَرَ إليهِ الْمُخَلَّفُون، فيستغفرَ لكَ رسول الله كما استغفرَ لهم؟ قُلتُ لهُم: هَل قالَ مثْلَ الّذي قلتُ أحدٌ؟ قالُوا: نَعَمْ، رَجُلان قالا مِثْلَ قولِك، وقِيلَ لَهما مِثْلُ ما قِيلَ لكَ. فقُلْتُ: مَن هُما؟ قالُوا: مُرارةُ بْنُ الرَّبيعِ الْعَمْرِيُّ، وهِلالُ بْن أُميَّةَ الْواقِفِيُّ. قالَ كعبٌ: مُرارةُ وهلال! قد ذكَروا لِي رَجُلَيْنِ صَالِحَيْن شَهِدا بدْرًا، وإنّ فيهما لأُسْوَةٌ. قالَ: فمَضيْتُ حِينَ ذكَروهُما لِي. ونهَى رَسُول الله ﷺ النّاسَ عَنْ كَلامِ ثلاثتِنا مِن بَينِ من تَخلَّف عَنهُ، فاجْتنبَنا النّاس ولم يكلّمونا، فلَبِثْنا عَلى ذَلكَ خمْسينَ لَيْلَةً. وكنتُ أخْرُج فأشْهَدُ الصَّلاة مَعَ الْمُسْلِمِينَ، وأطُوفُ في الأسْواقِ ولا يُكَلِّمُنِي أحدٌ، وآتِي إلى رسول الله ﷺ فأُسَلِّمُ عَلَيْهِ، وَهُو في مجْلِسِهِ بعدَ الصَّلاةِ، فأقُولُ في نفسِي: هَل حَرَّكَ شفتَيهِ بردِّ السَّلامِ أم لا؟ ثُمّ أُصلِّي قرِيبًا مِنهُ وأُسارِقُهُ النَّظَرَ، فإذا أقبلتُ عَلى صلاتِي نَظر إلَيَّ، وإذا الْتفتُ نَحْوَهُ أعْرَضَ عَنّي، حَتّى إذا مضَتْ أرْبَعُونَ ليلةً منَ الْخَمْسِينَ أتاني رسولٌ من رسول الله فقالَ: إنّ رسول الله ﷺ يأمُرُكَ أنْ تعْتزِلَ امْرأتَكَ، فقُلْتُ: أأُطلِّقُها، أمْ ماذا أفعَلُ؟ قالَ: لا، بَلِ اعتزِلْها، فلبِثْتُ بذلك عشْرَ ليالٍ، ثُمّ صلَّيْتُ صلاةَ الْفَجْرِ عَلى ظهْرِ بَيْتٍ مِنْ بُيُوتنا، فبينَا أنَا جالسٌ وقدْ ضَاقتْ عَلَيّ نَفْسِي، وَضاقَتْ عَليّ الأرْض بمَا رَحُبَتْ، سمعْتُ صَوْتَ صَارِخٍ بأعْلَى صَوْتِهِ يقول: يَا كَعْبُ بْنَ مَالِكٍ، أبْشِرْ، فخرَرْتُ ساجِدًا، وعَرَفْتُ أنّهُ قدْ جاء الفرَجُ؛ قد أعلم رسولُ الله ﷺ النّاسَ بتوْبَةِ الله عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْنا. قالَ كَعْبٌ: فلَمّا سلَّمْتُ عَلى رَسُولِ الله ﷺ، قالَ، وهوَ يَبْرُقُ وَجْهُهُ مِنَ السُّرُور: أبْشِرْ بخَيْرِ يَوْمٍ مَرَّ عَلَيْكَ، مُذْ ولَدَتْكَ أمُّك.

وكانَ رسولُ الله ﷺ إذا سُرَّ اسْتنارَ وَجْهُهُ، حتّى كأنَّ وجْهَهُ قِطْعَةُ قمر.

تفسير ابن كثير: 4/200– 204

منتديات صقر الجنوب التعليمية

الوحدة الثانية: في بيتي طائر

قصة فخري قعوار

من مجموعةِ "حُلُمُ حارسٍ ليليٍّ"

في وقتٍ متأخِّر من الليلِ سمعتُ طرقاً على بابِ مَنْزِلي، فتحتُ البابَ، فوجدتُ رجلاً متعباً كالمرضى أو أشباهِ الموتى. طلبَ كوبَ ماءٍ ومبيتَ ليلةٍ، أدخلتُهُ وسَقَيْتُهُ، وقدّمْتُ له طعاماً، وهيَّأْتُ له سريراً، ونام. في اليومِ التالي لم يتكلَّمْ، ولم يخرجْ مِنَ المنزلِ. احترمتُ صمتَهُ وبقيتُ ساكتاً أنا أيضاً. قدّرتُ حاجَتهُ للطَّعامِ، فوفَّرْتُ له ثلاثَ وجباتٍ على أنغامِ الْموسيقى.

في اليومِ الذي يليه قلتُ: لا بدَّ أنْ يَحْزِمَ أمْرَهُ للرَّحيلِ؛ فَصَنَعْتُ له فِنجانَ قَهْوةٍ وآخرَ لي، وجَلَسْتُ إلى جوارِهِ. قُلْتُ لَهُ:

– لمْ أتَعَرَّفْ على الأخِ!

ظننتُ أنَّه لمْ يَسْمَعْ، فأعَدْتُ كَلامي مرَّةً ثانيةً، فقالَ:

– أنا طائر!

تمالكتُ غَضَبي، وقلتُ:

– لكنَّكَ بِلا جناحيْنِ أو منقارٍ أو ريش!

عادَ وسكتَ قليلا، ثُمَّ أضافَ:

– هذه أوصافٌ لمْ تَعُدْ مُهِمَّة.

وَرَشَفَ رَشْفَةً مِنَ فِنْجانِ الْقَهْوةِ وَقالَ:

– أنا طائرٌ مُهاجِرٌ مِنْ وَراءِ الْبِحارِ.

وَمُنذُ أنْ قالَ ذلكَ بَدَأْتُ أَسْتَثْقِلُ دَمَ الرَّجُلِ، وسَأَلْتُهُ عَمَّا إذا كانَ يَرْغَبُ في إطالَةِ إقامَتِهِ في بيتي، فقالَ: "نعمْ". في الْيَوْمِ الرابعِ بَدَأتْ مَلامِحُ الْعافِيَةِ تَظْهَرُ على وَجْهِهِ، وسَأَلَني عَنْ مَكانِ مَكْتَبِ الْبريدِ في مدينتنا، فَسَأَلْتُهُ عَن سَبَبِ حاجَتِهِ لِمَكْتَبِ الْبريدِ فَقالَ:

– أُريدُ أنْ أبْعَثَ في طلبِ زَوْجَتي وأوْلادي لِلإقامَةِ مَعي هنا.

فَقُلْتُ: لكنَّكَ لمْ ترَ شيئاً في الْمدينةِ كيْ تَبْعثَ في طَلَبِهِمْ! فَأجابَ:

– ليسَ مُهِمّاً، فَنَحنُ نَعْرِفُها مِنْ كُتُبِ الْجغرافيا.

كانتْ هذه هي الْمرَّةَ الأولى التي يستعملُ فيها ضيفي كَلِمةَ "نحنُ" بدلاً مِن "أنا"، مِمَّا طوَّرَ الاستثقالَ إلى كَراهِيةٍ، فسألْتُهُ بضيقٍ عَمَّا هُوَ الْمُهِمُّ إذنْ؟ فقالَ بثقةٍ واسْتعلاءٍ:

–الْمُهِمُّ شَقَّتُكَ... إنَّها مُريحَةٌ، وتتوافَرُ فيهِ كُلُّ اللوازمِ التي نَحْتاجُها لِلإقامَةِ.

وحينَ قُلْتُ لَهُ إنَّها شَقَّتي وأنَّ اللوازمَ لي، ضَحِكَ طَويلا، ولمْ يُعلِّقْ بِكلِمَةٍ، ثُمَّ قَفَلَ داخِلاً إلى غُرْفَةِ النَّوْمِ، وارْتدى مَلابِسه، وَقبْلَ خُروجِهِ سَألَني إنْ كُنْتُ سَأبْقى في الْبَيْتِ، فأَخْبَرْتُهُ أنَني باقٍ، فقالَ:

- على كلِّ حال، إنْ رَغِبْتَ في الْخُروجِ فلا تُقْلَقْ بِشأْني، فَقَدْ وَجَدْتُ نُسْخَةً مِنَ الْمِفْتاحِ في غُرْفَةِ النَّوْمِ.

خَرَجَ وَتَرَكَني أَضْرِبُ كَفّاً بِكَفٍّ، وأنا أُفَكِّرُ جَدِيّاً في التَّخَلُّصِ مِن هذا الطَّائرِ الذي فَرَضَ وُجُودَه. في الْيَوْمِ الْخامِسِ طَلَبْتُ مِنْهُ مُغادَرَةَ الْمَنْزِلِ، فَرَفَضَ ضاحِكاً ضَحِكَتَهُ الطَّوِيلَةَ الْمُمَيَّزَة، وفي الْيومِ السَّادِسِ كَرَّرْتُ الطَّلَبَ، فَغَضِبَ وَصاحَ في وَجْهي مُهَدِّداً بِأَنَّهُ إنْ أَعَدْتُ هذا الكلامَ مَرَّةً أُخْرى فَسَيَكْسِرُ جُمْجُمَتي! حينَ أَعَدْتُ الكلامَ نَفْسَهُ في الْيَوْمِ السَّابِعِ أَخْرَجَ مُسَدَّساً مَحْشُوّاً بالرَّصاصِ مِن جَيْبِهِ، وقالَ:

- سَأُسامِحُكَ هذه الْمَرَّة، لأَنَّكَ لا تَعْرِفُ أَنّي شَرِيكُكَ في عَقْدِ الإيجارِ.

رَكَضْتُ حينَها كَأَرْنَبٍ بَرِّيٍّ نَحْوَ مَلَفِّ أَوْراقي الرَّسْمِيَّةِ، تَفَقَّدْتُ عَقْدَ الإيجارِ وَلَمْ أَجِدْ لَه اسماً فيه، وحينَ واجَهْتُهُ بِذلكَ قالَ بِخُيَلاءِ الطَّواويسِ:

- لكنَّ نُسْخَتي مِنَ الْعَقْدِ تَقولُ إنَّنا شُركاءُ.

وَمُنْذُ ذلكَ الحينِ، أَصْبَحْنا شُرَكاءَ في كلِّ شيءٍ في مَنْزِلي، إلى أنْ جاءَتْ أُسْرَتُهُ، فاسْتَأْذَنَ مِنّي البقاءَ هو والأسرةَ فقطْ، لأنَّ الْمَنْزِلَ لم يَعُدْ يَتَّسِعُ لِلْجميعِ، فَقُلْتُ لَه:

- ولكنَّنا شركاءُ بِموجِبِ نُسْخَتِكَ من الْعَقْدِ!

- قالَ: أبداً. الْعَقْدُ باسْمي وَخَدي، وأَسْتَطيعُ إثباتَ ذلكَ أمامَ الْمَحاكِمِ.

عادَ وَأَخْرَجَ مُسَدَّسَهُ مرَّةً أُخْرى، وَأَمَرَني بالْخروجِ الْفَوْرِيّ، مُفَضِّلاً ذلكَ على الْوُقوفِ أَمامَ الْمَحاكِمِ، فَخَرَجْتُ، وأَوْكَلْتُ قَضِيَّتي لِمحامينَ، كانوا يفوزون بِقَرارٍ من الْمَحْكَمَةِ يَقْضي بِأَحَقِّيَتي في الْبيتِ، لكنَّ الْمَحْكَمَةَ أَشْبَعَتْني وَرَقاً وقراراتٍ، وأنا ما أَزالُ خارجَ بَيْتي!!!

الوحدة الثالثة: زربية (1): قصة مترجمة

ترجمها عن الفرنسية: منصف المزغني**

أخيرًا نُشِرتْ للأستاذ «شي» مقالةٌ علميةٌ فريدةٌ في بابها، نال مقابلَها مبلغًا ماليًّا مجْزِيًا. هذا العجوز الذي وهب حياته، وكلَّ مهجته لبحوثه لا يعرف كيف يُنظِّم حياته اليومية، وكان علينا – نحن الطامحين لنيل الدكتوراه تحت إشرافه– أن نعتني به بعد وفاة زوجته حتى يستخدم رأسماله الصغير على الوجه الأفضل، ومن أجل هذه المهمة عقدنا اجتماعاتٍ عديدةً!

تنقص الأستاذ «شي» أشياء كثيرة؛ فقد كان قليلالممتلكات والأثاث، ومن ناحية المبدأ فإن الأستاذ موافق على اقتناء الأشياء الضرورية أكثر من غيرها، وحسب الأولوية، وكل ما من شأنه أن يساعده على نشر كتابه القادم.

سبق لنا أن تقدمنا بمقترحات لشراء أشياء كثيرة وللأسف كانت كلها مرفوضة من جانبه. إزاء خيبتنا ونفاد صبرنا فإن الرجل العجوز قد ضرب برفق على متكأ أريكة الخيزران وأطلق تنهيدة:

–لم يعد لدي وقت كثير.

–ولكن، في نهاية الأمر، ما هو الشيء الذي يبهجك؟

–إنني أفكر منذ زمن طويل، بل جدّ طويل، ولكن دعوني الآن أحتفظ بسري! هيا وأحضروا شاحنة صغيرة من المكتب الإداري على أن يُخْصَم أجرُها من راتبي.

صرنا في حيرة من أمرنا، فنحن مرغمون على تنفيذ أوامره في الحال، وكنا مدركين أنه ليس بمقدورناإثناءهُ عما اعتزم القيام به، وهكذا سرنا في الطريق برفقته.

أوقف السيد «شي» الشاحنة الصغيرة أمام محلّ تجاريّ كبير وتوجه دون تردّد نحو المصعد.

–الطابق الأخير من فضلكم! هكذا أمرَ.

في الطابق الأخير تباع مواد الفراء والحليّ والمصنوعات التقليدية والسّجاجيد، وأمام كومة السّجاد توقف! وبعد أن تمعّن جيدا في لائحة الأسعار والمقاسات اتّخذ قراره.

–أشتري هذه.

أُصبنا كلُّنا بالذّهول، حتى أننا حاولنا ثنيه عن عزمه.

–أنت لا تملك، تقريبا، أية قطعة أثاث في البيت، فما نفع شراء سجادة؟! فضلا عن سعرها المرتفع!

–لا عليكم، لدي أسبابي، هاكم الأموال، ادفعوا الحساب أرجوكم.

تناولتُ المال، ولكني مازلت أسعى إلى تغيير رأيه.

–إذا كنت، حقا، تريد شراء سجّادة فلا فائدة في أن تكون بهذه السّماكة، فضلًا عن غلاء سعرها.

–بالعكس إن السّجادة السميكة هي القادرة، وحدها، على أن تمنح متعةً خاصّة!

أمام عَجْزِنا عن التّصرّف ضد إرادته دَفَعْنا الحساب، ولففنا السّجادة، قبل أن نشحنها في السّيارة.

حين وصلنا إلى العمارة حيث يقيم، ورفعنا السّجادة إلى الطابق الثاني انتظرناه أن يفتح باب شقته.

وكم كانت مفاجأتنا كبيرةً! فبعد أن شكر السائق، وفيما هو يصعد الدرج، أَوْمأ لنا بيده:

–ارفعوها إلى الثالث!

–ولكن لماذا يا أستاذ؟

–افعلوا مثلما قلت لكم، سوف ترون!

لم يبق لنا إلّا أنْ نُذْعِنَ.

توقّف أمام الشّقة التي تعلو شقّته، وطرق طرقًا خفيفًا. لا أحد أجاب. لا شكّ أنّ الضّوضاء داخلَ الشّقّة قد بدّدَ صوت الطرق الخفيف!

وطَفِقَ يطرُقُ البابَ بقوّة، وبفعل ارتجاج الباب ظهر وجهٌ باسمٌ لشاب طبّاخ المطعم الجامعيّ. كان ضجيج الأصوات وقهقهة الضحكات تصمّان آذاننا!

–آه، هو حَضْرَتُكَ يا أستاذ «شي» ! أية نسائم طيبّة حَمَلَتْكَ! رغم أننا جيران إلّا أننا لا نلتقي إلّا نادرًا! تفضّل بالدخول. تفضّل.

انحنى أستاذي العجوز قليلا ليصرّحَ:

–إنّني... ومنذ زمن طويل، أنويِ أن أقدّم لك هديّة متواضعة.

وبطء قام الطباخ بخطوة راقصة وأجابه وهو يضرب بكفّيه:

–اه... اه! لقد سمعتهم يحكون أنك تلقّيْتَ مِنْحَةً إضافيّةً.

تريد أنْ نُشْرِكَ جارَك في تقاسم هذه المكافأة؟ «ليز هي» تعالّيْ بسرعة واشكري...

ثم ظلّ فاغِرًا فاهُ من الدّهشة وهو يرانا ننقل السجّادة داخل شقّته!

في الدّاخِلِ كانت هناك مجموعة شُبانٍ، وكانت وجوههم محمرّةً، والعرقُ يتصبّب من جباههم وكانت السيدة اللّطيفة «ليز هي» ذاهلة تستقبل الهديّة غيرَ مصدقةٍ عينيها ولا أذنيها.

وخيّم الصّمتُ على ذلك المجلس، فقد كان الكلّ يُحَمْلِقُ في السّجادة بعيونٍ مفتوحة على آخرها وكأنهم أمام لعبة سحرية من "صن يوكونغ" .

قطعت السيدة «ليز هي» الصّمت وهي في منتهى الارتباك:

–نحن شاكرون لك لطفك...من هنا فصاعدًا لن نُزْعِجَ..

فقاطعها السيد «شي:«

–أرجوكم تقبّلوها، إنها ليست غير هدية بسيطة.

قاطع السّيد «شي»، ثمّ أعطى الأمر: ابسطوا هذه السّجادة بسرعة!

وهو ما أنجزناه في الحال! كان الطّباخ الشّاب متضايقًا جدا ويحاول منعنا، ولكنّ السّيد «شي» كان يلخ:

–دعْهم وشأنهم، ستكون السّجادةُ عندكم كما هي عندي.

بعد قليل، وإثْر العودة إلى شقّة أستاذنا، عاتبناه على فعله هذا غير المسوّغ أو المفهوم.

وبدل أن يبحث عن مبرّرات، استقرّ مرتاحًا في أريكته الخيزرانيّة، وعيناه إلى السّقف، وبعدَ أن استمع إلى كل شكاوانا، تبدّت ابتسامة على شفتيه:

–الأمر يستحقّ كلّ هذا. إنّ فكرتي كانت جيّدة! ثم واصل – وهو يشير إلى السّقف– : لماذا تقولون إنّي أهديْتُ السجّادة إلى غيري؟ ألم أُدْخِل السّرورَ على نفسي مادامت السّجادة تغطي سقف بيتي؟.

صن يوكونغ ملك القرود وهو بطل الرواية الكلاسيكية «الحج إلى الغرب» وله طرائق في التّصرف والاحتيال.

---

*الكاتب Hang Ying من مواليد 1944 وله في الفرنسية مجموعة قصصية بعنوان «مساء خريف.«

**شاعر ومترجم من تونس.

قصة صينية للكاتب: هانغ ينغ

مشتريات صقر الجنوب التعليمية

الوحدة الرابعة: منْ سيرةِ الأديبةِ عائشةَ بنتِ الشّاطئ

وتركني عمّي وودّعني بعدَ أن اطمأنَّ إلى استقراري في القسم الداخلي... فأقبلت على دروسي جادّة في تحصيل ما فاتني منها، وقد أوشك امتحان نصف السنة أن يعقد. وأدّيته بنجاح، ثمّ تابعتُ الدراسة بقيّة الموسم، وأنا أقاوم بكلّ طاقتي شعورًا بقلقٍ خفيٍّ، ظلّ يطاردني في اليقظة والمنام. وقد علّلته بأنّه فرطُ حرصٍ منّي على مواصلة التعليم، وصدى ما لقيته من مخاطر الطريق؛ ذلك لأنّه لم يكن هناك في الظاهر، ما يدعو إلى قلق أو خوف؛ فالرّسائل تأتيني من أمّي بانتظام، ولا جديد فيها من أخبارٍ عن الأسرة، ممّا يشغل البال.

وعدتُ إلى البيت بعد أن اجتزتُ امتحان النقل إلى السنة الثالثة، لأواجهَ ما طوته عنّي أمّي في رسائلها إليّ من مأساتنا: مات جدّي الشّيخ، ووارَوه الثّرى دون أن أتزوّد منه بنظرةِ وداعٍ أخيرٍ. ومضى دون أن أُشيّعه إلى مثواه، بكلمةِ ولاءٍ وعهدِ ووفاءٍ، تؤنس وحشةَ رحلته إلى حيّ الموتى، في الطرف الأقصى من البلدة.

وتعرّض بيتُنا بعدَه لهزّةٍ عاصفةٍ كادت أن تقوّضه، إذ عاد أبي يُصرّ على حجزي في المنزل، وألفيتُ أمّي مضغوطةً بين شقّي رحى: لا تستطيع أن تتخلّى عنّي، كما لا تستطيع في الوقت نفسه أن تُعرّض البيتَ للخراب، وفيه شقيقاتٌ لي خمسٌ، وشقيقان أصغرُهما رضيعٌ في الشّهور الأولى من عمره! وكلا الأمرين أحلاهما مرّ.

وكانت أمّي أقرب إلى أن تحميني بأيّ ثمنٍ، غير أنّي ما كدتُ أذكرُ ما أصاب جدّي بسببي، حتّى تهيّبتُ التّضحية الفادحةَ التي تريد أن تتحمّلها من أجلي، وروّعني أن أتمثّل إخوتي السبعَ الصّغار حطامًا مبعثرًا بين أنقاضِ البيتِ الموشكِ على الانهيار. هنالك قرّرتُ أنّ دوريَ قد جاء، لأحتمل عن أمّي العبءَ الباهظَ، فأكونَ قُربانَ الفداءِ لسلامةِ البيتِ.

وساعدت الظروف على حسم الموقف، حين أُصبتُ بانهيارٍ عصبيٍّ أعيا الرُّقاةَ والأُساةَ دواؤه، فانقطعتُ عن المدرسة، وتقرّر شطبُ اسمي من سجلّ طالباتها؛ لعجزي عن الانتظام في الدّراسة. كانت أمّي شقيّةً بمحنتي، وقد تضاعف همّي بشقائها... ومن أجلها تماسكتُ، ولأجلها رحتُ ألتمس منفذًا عبر الطريق المسدود، بعد أن أراحني اليأسُ من همّ التطلّع والطّموح.. رحتُ ألتمسُ منفذًا لتطمئنّ أمّي إلى أنّ كلّ ما احتملناه في الشّوط الذي فات، لم يذهب عبثًا.

كان المنفذ الوحيد أمامي أن أستعير الكتب المدرسيّة المقرّرة على طالبات السنة النهائيّة بمدارس المعلّمات، حيثُ عكفتُ على تحصيلها، ثمّ تسلّلتُ من البيت خُفيةً، وأبي غائبٌ عن المدينة في إحدى رحلاته، فأدّيتُ امتحانَ شهادةِ الكفاءةِ للمعلّمات أمامَ لجنةِ مدرسةِ طنطا، وكنت الوحيدةَ التي تقدّمتُ إليه من المنزل، وكنتُ أولى الناجحاتِ في مصر، بفارقِ مئةٍ وثلاثينَ درجةً في المجموع، عن الطالبةِ التي تليني في ترتيبِ النجاح!

لكنّ ذلك الشوطَ لم يمضِ، إلا بعد أن وقفتُ لحظةً في نهايته، وقد لاح لي من بعيد، طريقٌ آخرُ لم أكن قد اتّجهتُ إليه قطُّ، ولا جرؤتُ أحلامي على أن تتمثّله أو تتعلّق به. وقد بدا الأمر حينذاك، أشبه بمصادفةٍ

عابرة، لا تلبثُ أن تمضيَ دون أن تُغيّر متّجهَ خطواتي، أو تتركَ في دنياي أثرًا ذا بالٍ: حدث ذاك، يومَ أخذتُ مكاني في جانبٍ من قاعةِ الامتحانِ الشّفهيّ لشهادة المعلّمات، أنتظرُ دوريَ لأُؤدِيَه بعد الطالبات الرّسميّاتِ. وكان الأساتذة الممتحنون قد ضاقوا بتعثّرهنّ في تلاوة السور القرآنيّةِ والنصوصِ الشعريّة المقرّرة، فلمّا جاء دوري وتلؤتُ مجوّدةً ما اختاروا لي من سورتي النساءِ والنورِ، سُئلتُ عمّا أحفظُ من النصوصِ الشعريّة، فكان جوابي أن سألت: من أيّ عصرٍ؟ وعجب الممتحنون لسؤالي، ثمّ طلبوا نصًّا من العصر الجاهليّ فأنشدتُهم أبياتًا من معلّقةِ طرفةَ بنِ العبدِ، ومرثيّةِ المهلهل بن ربيعةَ التغلبيّ في أخيه كليب. قالوا أسمعينا شيئًا من صدر الإسلام، فبادرتُ أُنشد لاميّةَ كعبِ بنِ زهير (بانت سعاد).

ثمّ ما زالوا ينتقلون بي من عصر إلى عصر وهم في دهشة من حفظي، حتّى إذا وصلنا إلى العصر الحديث فاجأتُهم بسؤالي: مِنْ شعري أو منْ شعر سوايَ؟ ولم يُنسِني مرُّ السنين، ما بدا عليهم من عجب، وقد قال أحدُهم: إن كنتِ شاعرةً فأسمعينا إحدى قصائدك. وأنشدتهم قصيدةً لي "في الحنين إلى دمياط"، ولم يبقَ لديهم ما يمتحنونني فيه، فأقبلوا عليّ يسألونني عن وجهتي في التّعليم بعد نيل هذه الشهادة لكفاءةِ المعلّمات.. وأجبتُ عن سؤال السادة الممتحنين: في نيّتي أن أعكفَ على تحصيل الموادّ المقرّرة على القسم الإضافيّ، ثمّ أتقدمَ من المنزلِ لأداء امتحانه النهائيّ. فأنكروا ما سمعوا من جوابي، وزيّنوا لي أن أعدل عن هذا الطريق القريب، إلى طريق الجامعة، ففيها وحده المجال الرحب الذي يستحق أن أتعلّق به وأسعى إليه.

وفي ظنّي، أنّي لم أكن حتّى ذلك اليوم، قد سمعتُ عن الجامعة... وفهمتُ من كلام الأساتذة الممتحنين، أنّ الطريقَ إلى الجامعة يحتاج إلى زادٍ من اللغتين الإنجليزيّة والفرنسيّة، عجبتُ بدوري لشططهم في تقدير طاقتي وعدّتي، وأنّي لَمِن بيئةٍ لم تُدنِّسْها كلمةٌ من لغة الفرنجة!

الدكتورة عائشة عبد الرحمن(بنت الشاطئ)، على الجسر بين الحياة والموت، سيرة ذاتية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1986، ص 56 -60

منتديات صقر الجنوب التعليمية

الوحدة الخامسة: قصّتانِ من كتابِ "البخلاءِ" للجاحظِ

القصّةُ الأولى: مُفارقة (البخيل والدّرهم)

قال الجاحظُ:

وحديثٌ سمعناهُ على وجْهِ الدَّهْرِ، زعموا أنَّ رجلًا قد بلغَ في الْبُخْلِ غايَتَهُ، وصارَ إمامًا، وإنَّه كان إذا صارَ في يدِهِ الدِّرْهَمُ، خاطَبَهُ وناجاهُ وفدّاهُ واسْتَبْطَأَهُ. وكانَ مِمّا يقولُ لهُ: "كمْ مِنْ أرْضٍ قدْ قَطَعْتَ، وكَمْ مِنْ كيسٍ قدْ فارَقْتَ، وكمْ من خامِلٍ رَفَعْتَ، وكَمْ مِن رفيعٍ قد أخْمَلْتَ. لَكَ عِنْدي ألّا تَعْرَى ولا تَضْحَى"، ثُمّ يُلقِيه في كيسِهِ ويَقولُ لَهُ: "اسكنْ على اسمِ اللهِ في مكانٍ لا تُهانُ ولا تُذَلُّ ولا تُزْعَجُ منه". وإنَّه لمْ يُدخِلْ فيهِ دِرْهَماً قطُّ فأخْرَجَهُ.

وإنَّ أهْلَهُ ألحّوا عليهِ في إنفاقِ دِرْهَمٍ، فدافَعَهُمْ ما أمْكَنَ ذلك. ثُمّ حَمَلَ دِرْهَمًا فقط. فبيْنَما هُو ذاهِبٌ إذْ رَأى حَوّاءَ قدْ أرْسَلَ على نَفْسِهِ أفْعَى لِدِرْهَمٍ يأْخُذُهُ، فقالَ في نَفْسِهِ: أتْلِفُ شَيْئاً تُبْذَلُ فيهِ النَّفْسُ، بأكْلَةٍ أوْ شَرْبَةٍ؟ واللهِ ما هذا إلّا مَوْعِظَةٌ لي مِنَ اللهِ. فرَجَعَ إلى أهْلِهِ، ورَدَّ الدِّرْهَمَ الى كيسِهِ. فكانَ أهْلُهُ منه في بلاءٍ، وكانوا يَتَمَنَّونَ مَوْتَهُ والْخَلاصَ مِنْهُ بالْمَوْتِ، والحياةَ بدونِهِ.

فلمّا ماتَ وظَنُّوا أنَّهُمْ قدْ اسْتَراحوا مِنهُ، قدِمَ ابْنُهُ، فاسْتَوْلى على مالِهِ وداره، ثُمَّ قالَ: "ما كانَ أدْهَى أبي؟ فإنَّ أكْثَرَ الْفَسادِ إنّما يكونُ في الإدامِ". قالوا: "كانَ يتأدَّمُ بِجُبْنَةٍ عِنْدَهُ". قال: "أرونيها". فإذا فيها حِزٌّ كالْجَدْوَلِ مِنْ أثَرِ مَسْحِ اللُّقْمَةِ. قالَ: "ما هذه الْحُفْرَةُ"؟

قالوا: كانَ لا يَقْطَعُ الْجُبْنَ، وإنّما كانَ يَمْسَحُ على ظَهْرِهِ، فَيَحْفِرُ كما تَرى قالَ: "فهذا أهْلَكَني، وبِهذا أقْعَدَني هذا الْمُقْعَدَ. لوْ عَلِمْتُ ذلك ما صلّيتُ عليهِ". قالوا: فأنتَ كَيْفَ تُريدُ أنْ تَصْنَعَ؟ قالَ: "أضَعُها مِنْ بعيدٍ، فأُشيرُ إليْها باللُّقْمَةِ".

القصّةُ الثانيةُ: مُعاذةُ العنبريّةُ

تَوَسَّطَ أحدُ الشيوخِ مجلسَهُ في مسجدِ البصرةِ بينَ رُوّادِهِ يومًا، فقالَ لهم: لم أرَ في حياتي امرأةً تضعُ الأمورَ في مواضِعِها وتُوفّيها غايةَ حُقوقِها مثلَ مُعاذةَ العنبريةِ. فقالَ له أصحابُه: وما شأنُ معاذةَ هذه؟

قال: أهدَى إليها العامَ ابنُ عمٍّ لها أُضْحِيَةً. فرأيْتُها كئيبةً حزينةً مُفكّرةً مُطرقةً، فقلتُ لها: مالَكِ يا مُعاذة؟

قالتْ: أنا امرأةٌ أرملةٌ وليسَ لي قيّمٌ، ولا عهدَ لي بتدبيرِ لحمِ الأضاحي، وقد ذهبَ الذين كانوا يُدبّرونه ويقومونَ بحقّه. وقد خِفْتُ أنْ يضيعَ بعضُ هذه الشّاةِ، ولستُ أعرف وضْعَ جميعِ أجزائِها في أماكِنِها. وقد علمْتُ أنَّ اللهَ لم يخلقْ فيها ولا في غيرِها شيئًا لا منفعةَ فيهِ. ولكنَّ المرءَ يعجزُ لا مَحالةَ. ولستُ أخافُ من تضييعِ القليلِ إلّا أنَّهُ يجرُّ تضييعَ الكثيرِ.

أمّا القِرْنُ فالوجهُ فيهِ معروفٌ، وهو أنْ يُجعَلَ منهُ كالخُطّافِ، ويُسَمَّرُ في جِذْعٍ من أجذاعِ السّقْفِ، فيُعلَّقُ عليهِ إناءُ الماءِ وكلُّ ما خيفَ عليه من الفأرِ والنّملِ والحيّاتِ وغيرِ ذلك. وأمّا المُصرانُ فإنّهُ لأوتارِ المِنْدَفَةِ، وبِنا إلى ذلكَ أعظمُ الحاجةِ. وأمّا العِظامُ فسبيلُها أنْ تُكسَرَ، ثمّ تطبخَ، فما ارتفعَ من الدّسَمِ كانَ للمصباحِ

وللعصيدةِ ولغيرِ ذلكَ، ثم تُؤخَذُ تلكَ العظامُ فتجفَّفُ، فيوقدُ بها، فلمْ يرَ النَّاسُ وَقودًا قطُّ أصفى ولا أحسنَ لهبًا منه. وأمّا الإهابُ فالجلدُ نفسُهُ جرابٌ. وللصّوفِ وجوهُ منفعةٍ لا تُعَدُّ. وأمّا الفرثُ والبعرُ فحطبٌ إذا جُفِّفَ عجيبٌ.

ثمّ قالتْ: بقِيَ الآنَ علينا أنْ ننتفع بالدّمِ. وقدْ علمْتُ أنّ اللهَ -عزَّ وجلَّ- لم يُحرِّمْ من الدَّمِ المسفوحِ إلّا أكلَهُ وشُربَهُ، وأنّ لهُ مواضعَ يجوزُ فيها، ولا يُمنَعُ منها، وإنْ أن لمْ أقعْ على علمِ ذلكَ حتّى يوضَعَ موضِعَ الانتفاعِ بهِ، صار كيّةً في قلبي، وقذًى في عيني، وهمًّا لا يزالُ يعودُني.

قال: فلمْ ألبثْ أنْ رأيتُها قد تطلّقتْ وتبسّمتْ. فقلْتُ: ينبغي أنْ يكونَ قد انفتحَ لكِ بابُ الرَّأيِ في الدَّمِ. قالتْ: أجل، ذكرْتُ أنّ عندي قُدورًا شاميّةً جُدُدًا، وقد زعموا أنّهُ ليسَ شيءٌ أزيدَ في قوّتها من التّلطيخِ بالدَّمِ الحارِ الدّسمِ. وقد استرحْتُ الآنَ إذْ وقعَ كلُّ شيءٍ موقِعَهُ.

قال: ثمّ لقيتُها بعد ستّةِ أشهرٍ، فقلْتُ لها: كيفَ كانَ قديدُ تلكَ الشّاةِ؟ قالتْ: بأبي أنتَ. لمْ يجئْ وقتُ القَديدِ بعدُ، لنا في الشّحْمِ والعظْمِ وغيرِ ذلكَ معاشٌ، ولِكلِّ شيءٍ إبّانٌ.

(أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، كتاب البخلاء، ط5، ص 33-34، ص131-132، تحقيق طه الحاجريّ، دار المعارف، مصر)

منتديات صقر الجنوب التعليمية